من عجائب سورة الكهف

بكر محمد إبراهيم

الناشر

مركز الراية للنشر والاعلام

اسم الكتاب : من عجائب سورة الكهف

بقلـــم : بكر محمد إبراهيم

الطبعة : الأولى ٢٠٠٥

الناشر : مركز الراية للنشر والإعلام

فكرة الكتاب : للناشر أحمد فكرى .

الاشراف والمتابعة : كريم أحمد فكرى .

رقم الإيداع : 4835/2005

الترقيم الدولى : 977.354.070.7

المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥)﴾[الكهف]

والصلاة والسلام على نبينا المصطفى وعلى آله وصحبه أهل الصدق والوفا .

وبعـــد ،،،

فهذا كتاب من عجائب سورة الكهف وسورة الكهف مليئة بالعجائب والغرائب ، وفيها كثير من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وعظمته .

فالسورة مكية إلا الآية ٢٨ ومن آية ٨٣ إلى ١٠١ فحديثه وآياتها ١١٠ آية نزلت بعد سورة الغاشية وهى تقع من الجزء الخامس عشر وآيات من الجزء السادس عشر فى المصحف وترتيبها فى المصحف ١٨ .

تبدأ السورة بالحمد لله الذى أنزل الكتاب وبشارة المؤمنين بالأجر الحسن وإنذار المشركين وتكذيبهم .

وحث الرسول ﷺ على أن يرفق بنفسه ثم نتحدث عن أهل الكهف وكيف ناموا ٣٠٩ سنة قمرية تعادل ٣٠٠ سنة شمسية .

ثم صاحب الجنتين وهلاكهما بسبب تكبره على الفقراء ونسبة الفضل إلى نفسه ثم قصة موسى عليه السلام والخضر والعجائب التى رآها موسي مع

الخضر ثم تختم السورة بقصة ذى القرنين الذى ملك المشارق والمغارب واختلاف العلماء فى شخصه أكان ملكا أو نبياً ؟

وخلال السورة نقرأ آيات فهو من شأن الدنيا وتعظيم من شأن الآخرة .

وتبين صورا من نعيم المؤمنين وصوراً عذاب الكافرين ويتحدث عن خلق الجن ويوم القيامة وغير ذلك من الآيات والأخبار العجيبة .

والحمد لله أولاً وآخراً ،،،

المؤلف

بكر محمد إبراهيم

عضو اتحاد الكتاب

قصة موسى والخضر

(عليهما السلام)

قال الله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦)

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)﴾[الكهف]

قال بعض أهل الكتاب : إن موسى هذا الذى رحل إلى الخضر هو موسى بن ميشا ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل، وتابعهم على ذلك بعض من يأخذ من صحفهم وينقل عن كتبهم منهم نوف بن فضالة الحميرى الشامى البكالى. ويقال : إنه دمشقى وكانت أمه زوجة كعب الأحبار.

والصحيح الذى دل عليه ظاهر سياق القرآن ونص الحديث الصحيح الصريح المتفق عليه أنه موسى بن عمران صاحب بنى إسرائيل.

قال البخارى : حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرنى سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس إن نوفا البكالى يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بنى إسرائيل !

قال ابن عباس : كذب عدو الله، حدثنا أبى بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه .

فأوحى الله إليه إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى : يارب وكيف لى به ؟، قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم.(١)

فأخذ حوتا فجعله بمكتل(٢) ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رأسيهما فناما واضطرب الحوت فى المكتل فخرج منه فسقط فى البحر واتخذ سبيله فى البحر سربا.

وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى:

﴿ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) ﴾

ولم يجد موسى النصب (تعباً) حتى جاوز المكان الذى أمره الله به، فقال له فتاه :

﴿ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) ﴾

---

(١) هناك .

(٢) مقطف.

قال فكان للحوت سربا، ولموسى ولفتاه عجبا

﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤) ﴾

قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلي الصخرة فإذا رجل مُسجى بثوب فسلم عليه موسى.

فقال الخضر : وأنى بأرضك السلام، قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا

﴿ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) ﴾

ياموسى إنى على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال :

﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) ﴾

قال له الخضر :

﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾

يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحمولهم، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول،

فلما ركبا فى السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينةبالقدوم.

فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها

﴿ ... لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) ﴾

قال : وقال رسول الله ﷺ وكانت الأولى من موسى نسيانا، قال : وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر فى البحر نقرة، فقال له الخضر : ما علمى وعمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذا بصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى :

﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا (٧٤) قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥) ﴾

قال : وهذه أشد من الأولى

﴿ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ ﴾

قال : مائل، فقام الخضر بيده ﴿ فأقامه ﴾ فقال موسى قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا

﴿ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) ﴾

قال رسول الله ﷺ : «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ: « وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا» وكان يقرأ « وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين».

ثم رواه البخارى أيضا عن قتيبة عن سفيان بن عيينة بإسناده نحوه وفيه : فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلي الصخرة فنزلا عندها، قال : فوضع موسى رأسه فنام. قال سفيان : وفى حديث غير عمرو قال : وفى أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شئ إلا حيى.

فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال : فتحرك وانسل من المكتل ودخل البحر، فلما استيقظ موسى قال :

﴿ قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا ﴾

وساق الحديث وقال : ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره فى البحر.

فقال الخضر لموسى : ما علمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره، وذكر تمام الحديث .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال أخبرنى يعلي بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه . وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير قال : إنا لعند ابن عباس فى بيته إذ قال : سلونى ..، فقلت: أى بن عباس جعلنى الله فداءك، بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بنى إسرائيل.

أما عمرو فقال لى : قد كذب عدو الله، وأما يعلى فقال لى : قال ابن عباس حدثنى أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : موسى رسول الله قال ذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب وولى، فأدركه رجل فقال : أى رسول الله، هل فى الأرض أحد أعلم منكم.

قال : لا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إلي الله، قيل : بلي، قال أى رب فأين، قال : بمجمع البحرين، قال : أى رب اجعل لي علما أعلم ذلك منه به، قال لي عمرو : قال حيث يفارقك الحوت .

وقال لى يعلي قال خذ حوتا ميتا حيث ينفخ فيه الروح، فأخذ حوتا فجعله فى مكتل، فقال لفتاه : لا أكلفك إلا أن تخبرنى بحيث يفارقك الحوت، قال : ما كلفت كبيراً، فذلك قوله : ﴿ وإذ قال موسى لفتاه ﴾ يوشع بن نون - ليست عن سعيد بن جبير -

قال : فبينما هو فى ظل صخرة في مكان ثريان[1] إذ تضرب الحوت وموسى نائم، فقال فتاه : لا أوقظه، حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره،

---

(١) مبلول .

وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية البحر حتى كأن أثره فى حجر، قال لى عمرو : هكذا كان أثره فى حجر، وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما ﴿لقد لقينا من سفرنا ها نصبا﴾

قال وقد قطع الله عنك النصب ؟ - ليست هذه عن سعيد أخبره - فرجعا فوجدا خضراً، قال لي عثمان بن أبى سليمان : على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيد مُسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه.

فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال : هل بأرض من سلام؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم، قال : فما شأنك؟ قال جئتك لتعلمنى مما علمت رشداً، قال : أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحى يأتيك ؟ يا موسى إن لى علماً لا ينبغى لك أن تعلمه، وإن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه.

فأخذ طائر بمنقاره من البحر، فقال : والله ما علمى وعلمك فى جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر،

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١)﴾

وجدا معابر صغاراً تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه، فقالوا : عبد الله الصالح - قال فقلنا لسعيد : خضر؟ قال : نعم - لاتحمله بأجر، ﴿فخرقها﴾ ووتد فيها وتدا ﴿قال﴾ موسى:

﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) ﴾

قال مجاهد : منكرا

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) ﴾

كانت الأولي نسيانا، والوسطي شرطا، والثالثة عمداً،

﴿ قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلامًا فَقَتَلَهُ ﴾

قال يعلى قال سعيد : وجد غلماناً يعلبون، فأخذ غلاما كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين :

﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾

لم تعمل بالخبث – ابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة كقولك غلاما زكيا–

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ ﴾

قال سعيد : بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعلي : حسبت أن سعيد قال : فمسحه بيده فاستقام،

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾

قال سعيد : أجراً نأكله، ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم ﴾ وكان أمهم – قرأها ابن عباس : «أمامهم» – ملك يزعمون – عن غير سعيد – أنه هُدد بن بُدد،

والغلام المقتول - يزعمون - : حيسور، ﴿ مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾

فأردت إذا هى مرت به أن يدعها بعيبها فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها. ومنهم من يقول سدوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار

﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ ﴾

وكان كافراً ﴿ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾

أى يحملهما حبه أن يتابعاه على دينه،

﴿ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً ﴾

لقوله أقتلت نفسا زكية ﴿ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ هما به أرحم منهما بالأول الذى قتل خضر وزعم سعيد بن جبير أنهما أبدلا جارية، وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية.

وقد رواه عبد الرزاق عن معمر أبى إسحاق عن سعيد بن جير عن ابن عباس قال : خطب موسى بنى إسرائيل فقال : ما أحد أعلم بالله وبأمره منى، فأمر أن يلقى هذا الرجل، فذكر نحو ما تقدم.

وهكذا رواه محمد بن إسحاق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى بن كعب عن رسول الله ﷺ كنحو ما تقدم أيضا، ورواه العوفى عنه موقوفاً.

وقال الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس، أنه تمارى هو والحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى فقال ابن عباس : هو خضر، فمر بهما أبى بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال : إنى

تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى الذى سأل السبيل إلي لقيه، فهل سمعت من رسول الله فيه شيئاً؟ قال : نعم (وذكر الحديث).

وقوله :

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾

قال السهيلى وهما أصرم وصريم ابنا كاشح، ﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا ﴾ قيل : كان ذهبا. قال عكرمة، وقيل : علما قاله ابن عباس، والأشبه أنه كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه علم.

قال البزار : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهرى حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث بن عبدالله اليحصبى عن عياض بن عباس الغسانى عن ابن حجيرة عن أبي ذر رفعه قال : «إن الكنز الذي ذكر الله فى كتابه لوح من الذهب مصمت، عجبت لمن أيقن بالقدر كيف نصب، وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك، وعجبت لمن ذكر الموت كيف غفل لا إله إلا الله». وهكذا روى عن الحسن البصرى وعمر مولى عفرة وجعفر الصادق نحو هذا.

وقوله : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾

وقد قيل إنه كان الأب السابع وقيل العاشر، وعلى كل تقدير فيه دلالة على أن الرجل الصالح يحفظ فى ذريته فالله المستعان.

وقوله : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾

دليل علي أنه كان نبياً، وأنه ما فعل شيئاً من تلقاء نفسه بل بأمر ربه فهو نبى وقيل رسول، وقيل ولى، وأغرب من هذا من قال : كان ملكا.

وقد أغرب جدا من قال : هو ابن فرعون، وقيل : إنه ابن ضحاك الذى ملك الدنيا ألف سنة.

قال ابن جرير : والذى عليه جمهور أهل الكتاب أنه كان في زمن أفريدون، ويقال : إنه كان على مقدمة ذي القرنين الذى قيل إنه كان أفريدون وذو الفرس هو الذي كان فى زمن الخليل، وزعموا أنه شرب من ماء الحياة فخلد وهو باق إلى الآن.

وقيل : إنه من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه من أرض بابل، وقيل اسمه «ملكان»، وقيل «أرميا بن خلقيا»، وقيل : كان نبيا فى زمن سباسب بن لهراسب، قال ابن جرير: وقد كان بين أفريدون وبين سباسب دهور طويلة لا يجهلها أحد من أهل العلم بالأنساب.

قال ابن جرير: والصحيح أنه كان في زمن أفريدون، واستمر حيا إلى أن أدركه موسى -عليه السلام- وكانت نبوة موسى فى زمن منوشهر الذى هو من ولد أبرج بن أفريدون أحد ملوك الفُرس، وكان إليه الملك بعد جده أفريدون لعهده، وكان عادلاً، وهو أول من خندق الخنادق، وأول من جعل فى كل قرية دهقاناً.

وكانت مدة ملكه قريباً من مائة وخمسين سنة، ويقال : إنه كان من سلالة إسحاق بن إبراهيم، وقد ذكر عنه من الخطب الحسان والكلم البليغ النافع الفصيح مايبهر العقل ويحير السامع، وها يدل على أنه من سلالة الخليل. والله أعلم.

وقد قال الله تعالى :

﴿ وإذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران]

فأخذ الله ميثاق كل نبى على أن يؤمن بمن يجئ بعده من الأنبياء وينصره، فلو كان الخضر حيا فى زمانه لما وسعه إلا أتباعه، والاجتماع به، والقيام بنصره، ولكان من جملة من تحت لوائه يوم بدر كما كان تحتها جبريل وسادات من الملائكة وقصارى الخضر -عليه السلام- أن يكون نبيا وهو الحق أو رسولا كما قيل، أو ملكا فيما ذُكر .

أيا ما كان، فجبريل رئيس الملائكة وموسى أشرف من الخضر ولو كان حيا لوجب عليه الإيمان بمحمد ونصرته، فكيف إن كان الخضر وليا كما يقوله طواف كثيرون ؟ فأولى أن يدخل فى عموم البعثة وأحرى.

ولم ينقل فى حديث حسن بل ولا ضعيف يُعتمد أنه جاء يوما واحداً إلي رسول الله ﷺ ولا اجتمع به، وما ذكر من حديث التعزية فيه وإن كان الحاكم قد رواه فإسناده ضعيف، والله أعلم.

اسم الخضر ونسبه ونبوته

وهل لايزال حيا حتى الآن؟

تقدم أن موسى -عليه السلام- رحل إليه فى طلب ما عنده من العلم اللدنى، وقص الله من خبرهما فى كتابه العزيز فى سورة الكهف - وأن الذى رحل إليه هو موسى بن عمران نبى بنى إسرائيل -عليه السلام- الذى أنزلت عليه التوراة.

وقد اختلف فى الخضر فى اسمه ونسبه ونبوته وحياته إلى الآن على أقوال.

قال الحافظ ابن عساكر يقال : إنه الخضر ابن آدم - عليه السلام - لصلبه، ثم روى من طريق الدارقطنى :حدثنا محمد بن الفتح القلانسى، حدثنا العباس بن عبدالله الرومى، حدثنا رواد بن الجراح، حدثنا مقاتل بن سليمان، عن الضحاك، عن ابن عباس قال : الخضر ابن آدم لصلبه، ونُسئ له فى أجله حتى يكذب الدجال (وهذا منقطع وغريب).

وقال أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى : سمعت مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره قالوا: إن أطول بنى آدم عمراً الخضر، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم، قال: وذكر ابن إسحاق أن آدم -عليه السلام- لما حضرته الوفاة أخبر بنيه أن الطوفان سيقع بالناس وأوصاهم إذا كان ذلك أن يحملوا جسده معهم فى السفينة، وأن يدفنوه في مكان عينه لهم، فلما كان الطوفان حملوه معهم، فلما هبطوا إلى الأرض أمر نوح بنيه أن يذهبوا ببدنه فيدفنوه حيث أوصى.

فقالوا: إن الأرض ليس بها أنيس، وعليها وحشة، فحرضهم وحثهم على ذلك، وقال إن آدم دعا لمن يلى دفنه بطول العمر، فهابوا المسير إلى ذلك الموضع فى ذلك الوقت فلم يزل جسده عندهم حتى كان الخضر هو الذى تولى دفنه، وأنجز الله ما وعده، فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا.

وذكر ابن قتيبة فى «المعارف» عن وهب بن منبه أن اسم الخضر بليا -ويقال آيليا- بن ملكان بن فاغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح -عليه السلام-.

وقال إسماعيل بن أبى أويس : اسم الخضر فيما بلغنا - والله أعلم - المعمر بن مالك بن عبدالله بن نصر بن لازد.

وقال غيره : هو خضرون بن عماييل بن اليفز بن العيص بن إسحاق ابن إبراهيم الخليل.

ويقال : هو أرميا بن خلقيا فالله أعلم، وقيل : إنه كان ابن فرعون صاحب موسى ملك مصر وهذا غريب جداً، قال ابن الجوزى : رواه محمد بن أيوب عن ابن لهيعة، وهما ضعيفان.

وقيل إنه ابن مالك وهو أخو إلياس. قاله السدى كما سيأتى، وقيل : إنه كان على مقدمة ذى القرنين، وقيل كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل وهاجر معه وقيل كان نبياً فى زمن بشتاسب بن لهراسب.

قال ابن جرير : والصحيح أنه كان متقدما فى زمن أفريدون بن اثفيان حتى أدركه موسى - عليهما السلام - ، وروى الحافظ ابن عساكر عن سعيد بن المسيب أنه قال الخضر أمه رومية وأبوه فارسى.

وقد ورد ما يدل على أنه كان من بنى إسرائيل في زمان فرعون أيضا. قال أبو زرعة فى « دلائل النبوة » حدثنا صفوان بن صالح الدمشقي حدثنا الوليد حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس عن أُبى ابن كعب عن رسول الله ﷺ أنه ليلة أسرى به وجد رائحة طيبة، فقال: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة ؟ قال : هذه ريح قبر الماشطة وابنتها وزوجها.

وقال : وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشراف بنى إسرائيل وكان ممره براهب فى صومعته، فتطلع عليه الراهب فعلمه الإسلام، فلما بلغ الخضر زوجه أبوه امرأة فعلمها الإسلام وأخذ عليها ألا تُعلم أحداً، وكان لا يقرب النساء، ثم طلقها، ثم زوجه أبوه بأخرى فعلمها الإسلام، وأخذ عليها، ألا تعلم أحداً، ثم طلقها، فكتمت إحداهما وأفشت عليه الأخرى.

فانطلق هاربا حتى أتى جزيرة فى البحر، فأقبل رجلان يحتطبان فرأياه فكتم أحدهما وأفشى عليه الآخر، قال : قد رأيت الخضر، قيل : ومن رآه معك ؟ قال : فلان، فسئل فكتم وكان من دينهم : «إنه من كذب قُتل» فقتل، وكان قد تزوج الكاتم المرأة الكاتمة، قال : فبينما هى تمشط بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت : تعس فرعون فأخبرت أباها، وكان للمرأة ابنان وزوج. فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا، فقال : إنى قاتلكما، فقالا: إحسان منك إلينا إن أنت قتلنا أن تجعلنا في قبر واحد، فجعلهما فى قبر واحد، فقال: وما وجدت ريحاً أطيب منهما، وقد دخلت الجنة. وهذا قد يكون مدرجا من كلام أُبى بن كعب أو عبد الله بن عباس، والله أعلم.

وقال بعضهم : كنيته أبو العباس، والأشبه - والله أعلم - أن الخضر لقب غلب عليه.

قال البخارى رحمه الله حدثنا محمد بن سعيد الأصبهانى حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : إنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هى تهتز من خلفه خضراء، تفرد به البخارى وكذلك رواه عبدالرزاق عن معمر به، ثم قال عبدالرزاق : الفروة: الحشيش الأبيض وما أشبهه، يعنى الهشيم اليابس. وقال الخطابى وقال أبو عمر : الفروة : الأرض البيضاء التى لا نبات فيها، وقال غيره : هو الهشيم اليابس شبهه بالفروة، ومنه قيل فروة الرأس وهى جلدته بما عليها من الشعر كما قال الراعى :

ولقد ترى الحبشى حول بيوتنا جلا إذا ما نـال يومـا ماكــلا

جعدا أصك كأن فروة رأســه بـذرت فأنبـت جانبـاه فُلفـــلا

قال الخطابى : إنما سمى الخضر خضراً لحسنه وإشراق وجهه، وهذا لا ينافي ما ثبت فى الصحيح فإن كان ولابد من التعليل بأحدهما فما ثبت فى الصحيح أولي وأقوى بل لا يلتفت إلي ما عداه، وقد روى الحافظ ابن عساكر هذا الحديث أيضا من طريق إسماعيل بن حفص بن عمر الأيلي حدثنا عثمان وأبو جزى وهمام بن يحيى عن قتادة عن عبدالله ابن الحارث بن نوفل عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : «إنما سمى الخضر خضراً، لأنه صلى على فروة بيضاء فاهتزت خضراء» (وهذا غريب من هذا الوجه).

وقال قبيصة : عن الثورى عن منصور عن مجاهد قال : إنما سمى الخضر، لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله، وتقدم أن موسى ويوشع عليهما السلام لما رجعا يقصان الأثر وجداه على طنفسة خضراء على كبد البحر، وهو مسجى بثوب قد جعل طرفاه من تحت رأسه وقدميه، فسلم - عليه السلام - فكشف عن وجهه فرد، وقال : أنى[1] بأرضك السلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم فكان من أمرهما ما قصه الله فى كتابه عنهما .

وقد دل سياق القصة على نبوته من وجوه :

أحدهما :

قوله تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً[2] مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا (٦٥) ﴾ [الكهف]

الثانى :

قول موسى له : ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) ﴾[الكهف]

فلو كان وليا وليس بنبى لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد

---

(١) كيف ومن أين ؟

(٢) كثيرا ما يستخدم القرآن لفظة رحمة بمعنى النبوة .

على موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم الذى اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبى لم يكن معصوما ولم تكن لموسى وهو نبى عظيم ورسول كريم واجب العصمة كبير رغبة ولا عظيم طلبة في علم ولى غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه والتفتيش عليه، ولو أنه يمضى حقبا من الزمان - قيل : ثمانين سنة -

ثم لما اجتمع به تواضع له وعظمه واتبعه فى صورة مستفيد منه دل على أنه نبى مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، وقد خص من العلوم الدينية والأسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسي الكليم نبى بنى إسرائيل الكريم، وقد احتج بهذا المسلك بعينه الرمانى على نبوة الخضر - عليه السلام -.

الثالث :

أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام وماذاك إلا للوحى إليه من الملك العلام، وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، لأن الولى لا يجوز له الإقدام على قتل النفوس بمجرد ما يلقي فى خلده، لأن خاطره ليس بواجب العصمة إذ يجوز عليه الخطأ بالإتفاق.

ولما أقدم الخضر علي قتل ذلك الغلام الذى لم يبلغ الحلم علماً منه بأنه إذا بلغ يكفر ويحمل أبويه على الكفر لشدة محبتهما له فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته، صيانة لأبويه عن الوقوع فى الكفر وعقوبته .

دل ذلك على نبوته وأنه مؤيد من الله بعصمته، وقد كان الشيخ أبو

الفرج ابن الجوزى طرق هذا المسلك بعينه فى الاحتجاج على نبوة الخضر وصححه، وحكى الاحتجاج عليه الرمانى أيضا.

الرابع :

أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى ووضح له عن حقيقة أمره وجلى قال بعد ذلك كله ﴿رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى﴾ يعنى : ما فعلته من تلقاء نفسى بل أمرت به، وأوحى إلىَّ فيه، فدلت هه الوجوه على نبوته، ولا ينافى ذلك حصول ولايته بل ولا رسالته كما قاله آخرون.

وأما كونه ملكا من الملائكة فغريب جدا. وإذا ثبتت نبوته كما ذكرناه لم يبق لمن قال بولايته وأن الولي قد يطلع على حقيقة الأمور دون أرباب الشرع الظاهر مستند يستندون إليه، ولا مُعتمد يعتمدون عليه.

هل الخضر ما يزال حيا:

وأما الخلاف فى وجوده إلى زماننا هذا فالجمهور على أنه باق إلى اليوم، قيل : لأنه دفن آدم بعد خروجهم من الطوفان فنالته دعوة أبيه آدم بطول الحياة، وقيل : لأنه شرب من عين الحياة فحيى.

وكروا أخبارا استشهدوا بها على بقائه إلى الآن وهذه وصيته لموسى حين:

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا (٧٨)﴾ [الكهف]

روى فى ذلك آثار منقطعة كثيرة.

قال البيهقى : أنبأنا أبو سعيد بن أبى عمرو حدثنا أبو عبدالله الصفار حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا إسحاق ابن إسماعيل حدثنا جرير حدثنى أبو عبدالله الملطى.

قال : لما أراد موسي أن يفارق الخضر قال له موسى : أوصنى، قال: «كن نفاعاً ولا تكن ضراراً، كن بشاشاً ولا تكن غضبان، ارجع عن اللجاجة ولا تمش فى غير حاجة» وفى رواية من طريق أخرى زيادة : « ولا تضحك إلا من عجب ».

وقال وهب بن منبه : قال الخضر : «يا موسى إن الناس معذبون فى الدنيا علي قدر همومهم بها».

وقال بشر بن الحارث الحافى : قال موسى للخضر : أوصنى، فقال : «يسر الله عليك طاعته ».

وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع رواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى الوقاد - إلا أنه من الكذابين الكبار - قال : قرىء علي عبد الله بن وهب وأنا أسمع قال الثورى قال مجالد قال أبو الوداك قال أبو سعيد الخدرى قال عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ قال أخى موسى : يارب - ذكر كلمته - فأتاه الخضر وهو فتى طيب الريح حسن بياض الثياب مشمرها.

فقال : السلام عليك ورحمة الله ياموسى بن عمران، إن ربك يقرأ عليك السلام، قال موسى هو السلام وإليه السلام، والحمد لله رب العالمين الذى لا أحصى نعمه ولا أقدر على أداء شكره إلا بمعونته.

ثم قال موسى : أريد أن توصينى بوصية ينفعنى الله بها بعدك، فقال الخضر: «يا طالب العلم : إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذ حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما تحشو به وعاءك، واغرف من الدنيا وانبذها وراءك، فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار.

وإنما جعلت بلغة للعباد والتزود منها ليوم المعاد، وروض نفسك على الصبر تخلص من الإثم، يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده فإنما العلم لمن تفرغ له، ولا تكن مكثاراً للعلم مهذاراً فإن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدى مساوىء السخفاء، ولكن عليك بالاقتصاد فإن ذلك من التوفيق والسداد.

وأعرض عن الجهال وماطلهم واحلم عن السفهاء فإن ذلك فعل الحكماء، وزين العلماء إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه حلما، وجانبه حزماً، فإن ما بقى من جهله عليك وسبه إياك أكثر وأعظم.

يا بن عمران ولا ترى أنك أوتيت من العلم إلا قليلا، فإن الاندلاث والتعسف من الاقتحام والتكلف، يابن عمران لا تفتحن بابا لاتدرى ما غلقه ولا تغلقن باباً لا تدرى ما فتحه، يابن عمران من لا ينتهى من الدنيا نهمته، ولا تنقضى منها رغبته، ومن يحقر حاله ويتهم الله فيما قضى له كيف يكون زاهداً؟

هل يكف عن الشهوات من غلب عليه هواه، أو ينفعه طلب العلم والجهل قدحواه لأن سعيه إلى آخرته وهو مقبل على دنياه، يا موسى تعلم ما تعلمت لتعمل به ولا تعلمه لتحدث به فيكون عليك بواره ولغيرك نوره، يا موسى بن عمران اجعل الزهد والتقوى لباسك، والعلم والذكر كلامك،

واستكثر من الحسنات فإنك مصيب السيئات[1]، وزعزع بالخوف قلبك فإن ذلك يرضى ربك، واعمل خيرا فإنك لابد عامل سوء، قد وعظت إن حفظت، قال : فتولى الخضر، وبقي موسى محزونا مكروبا يبكى.

قال ابن كثير : لا يصح هذا الحديث وأظنه من صنعة زكريا بن يحيى الوقاد المصرى كذبه غير واحد من الأئمة، والعجب أن الحافظ ابن عساكر سكت عنه !!.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى : حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى ثنا عمرو ابن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الحمصى حدثنا محمد بن الفضل بن عمران الكندى حدثنا بقية بن الوليد عن محمد بن زياد عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه : « ألا أحدثكم عن الخضر ؟» قالوا: بلى يارسول الله.

قال : بينما هور ذات يوم يمشى فى سوق بنى إسرائيل أبصره رجل مكاتب فقال : تصدق على بارك الله فيك، فقال الخضر : آمنت بالله، ما شاء الله من أمر يكون، ما عندى من شىء أعطيكه، فقال المسكين : أسألك بوجه الله لما تصدقت علىّ، فإنى نظرت إلى السماء فى وجهك، ورجوت البركة عندك.

فقال الخضر : آمنت بالله ما عندى من شئ أعطيكه، إلا أن تأخذنى فتبيعنى، فقال المسكين : وهل يستقيم هذا؟ قال : نعم الحق أقول لك، لقد سألتنى بأمر عظيم، أما أنى لا أخيبك بوجه ربى بعنى.

(١) هنات الأنبياء هى فى الأصل ليست ذنوباً وإنما يعاتبون عليها لجلال قدرهم فم معصومون من الذنوب التى يقع .

قال : فقدمه إلي السوق فباعه بأربعمائة درهم، فمكث عند المشترى زمانا لا يستعمله فى شىء، فقال له : إنك ابتعتنى التماس خير عندى فأوصنى بعمل، قال : أكره أن أشق عليك إنك شيخ كبير ضعيف.

قال ليس يشق علىّ، قال : فانقل هذه الحجارة وكان لا ينقلها دون ستة نفر فى يوم، فخرج الرجل بعض حاجاته، ثم انصرف وقد نقل الحجارة فى ساعة، فقال : أحسنت وأجملت وأطقت مالم أرك تطيقه، ثم عرض للرجل سفر فقال : إنى أحسبك أمينا فأخلفنى فى أهلى خلافة حسنة، قال : فأوصنى بعمل، قال : إنى أكره أن أشق عليك، قال : ليس تشق علىّ، قال : فاضرب من اللبِن لبيتى[1] حتى أقدم عليك فمضى الرجل لسفره فرجع وقد شيد بناؤه.

فقال : أسألك بوجه الله ما سبيلك وما أمرك ؟ فقال سألتنى بوجه الله، والسؤال بوجه الله أوقعنى فى العبودية سأخبرك من أنا، أنا الخضر الذى سمعت به، سألنى مسكين صدقة فلم يكن عندى من شىء أعطيه، فسألنى بوجه الله فأمكنته من رقبتى فباعنى، وأخبرك أنه من سئل بوجه الله فرد سائله وهو يقدر وقف يوم القيامة جلده لا لحم له ولا عظم يتقعقع.

فقال الرجل : آمنت بالله شققت عليك يا نبى الله ولم أعلم، فقال : لا بأس أحسنت وأبقيت، فقال الرجل : بأبى وأمى يا نبى الله أحكم في أهلى ومالى بما أراك الله، أو أخيرك فأخلى سبيلك، فقال : أحب أن تخلى سبيلي فأعبد ربي فخلى سبيله.

---

(١) الطوب النيئ.

فقال الخضر: الحمد لله الذى أوقعنى فى العبودية ثم نجانى منها (وهذا حديث رفعه خطأ، والأشبه أن يكون موقوفاً، وفى رجاله من لا يُعرف) فالله أعلم.

وقد رواه ابن الجوزى فى كتابه « عجالة المنتظر فى شرح حال الخضر» من طريق عبدالوهاب بن الضحاك - وهو متروك - عن بقية.

وقد روى الحافظ ابن عساكر بإسناده إلى السدى أن الخضر وإلياس كانا أخوين، وكان أبوهما ملكا، فقال إلياس لأبيه : إنى أخى الخضر لا رغبة له فى الملك، فلو أنك زوجته ليلة يجىء منه ولد يكون الملك له، فزوجه أبوه بامرأة حسناء بكر، فقال لها الخضر : إنه لا حاجة لى فى النساء فإن شئت أطلقت سراحك؟ وإن شئت أقمت معى تعبدين الله - عز وجل - وتكتمين علىّ سرى؟

فقالت : نعم وأقامت معه سنة، فلما مضت السنة دعاها الملك فقال : إنك شابة وابنى شاب فأين الولد؟ فقالت : إنما الولد من عند الله إن شاء كان وإن لم يشأ لم يكن، فأمره أبو فطلقها، وزوجه بأخرى ثيبا قد ولد لها، فلما زُفت إليه قال لها كما قال للتى قبلها.

فأجابت إلي الإقامة عنه، فلما مضت السنة سألها الملك عن الولد؟ فقالت إن ابنك لاحاجة له بالنساء، فطلبه أبوه، فهرب، فأرسل وراءه فلم يقدروا عليه، فيقال : إنه قتل المرأة الثانية لكونها أفشت سره، فهرب من أجل ذلك، وأطلق سراح الأخرى، فأقامت تعبد الله فى بعض نواحى تلك المدينة فمر بها رجل يوما فسمعته يقول : بسم الله .

فقالت له : أنى لك هذا الاسم؟ فقال : إنى من أصحاب الخضر فتزوجته فولدت له أولاداً، ثم صار من أمرها أن صارت ماشطة بنت فرعون فبينما هى يوما تمشطها إذا وقع المشط من يدها فقالت : بسم الله، فقالت ابنة فرعون : أبى ؟ فقالت : لا ربى وربك ورب أبيك الله، فاعلمت أباها فأمر بنقرة[1] من نحاس فأحميت، ثم أمر بها فألقيت فيه، فلما عاينت ذلك تقاعست أن تقع فيها فقال لها ابن معها صغير : يا أمه اصبرى فإنك على الحق، فألقت نفسها فى النار فماتت رحمها الله.

وقد روى ابن عساكر عن أبى داود الأعمى نُفيع - وهو كذاب وضاع - عن أنس بن مالك ومن طريق كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف - وهو كذاب أيضا - عن أبيه عن جده : أن الخضر جاء ليلة فسمع النبى ﷺ وهو يدعو ويقول : اللهم أعنى على ما ينجينى مما خوفتنى، وارزقنى شوق الصالحين إلي ما شوقتهم إليه .

فبعث إليه رسول الله أنس بن مالك فسلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: قل له إن الله فضلك على الأنبياء كما فضل شهر رمضان على سائر الشهور وفضل أمتك على الأمم كما فضل يوم الجمعة على غيره (الحديث وهو مكذوب لا يصح سنداً ولا متناً) .

كيف لا يتمثل بين يدي رسول الله ﷺ ويجىء بنفسه مسلما ومتعلما وهم يذكرون فى حكاياتهم وما يسندونه عن بعض مشايخهم أن الخضر يأتى إليهم ويسلم عليهم ويعرف أسماءهم ومنازلهم ومحالهم.

---

(١) اناء كبير من النحاس.

وهو مع هذا لا يعرف موسى بن عمران كليم الله الذى اصطفاه الله فى ذلك الزمان على من سواه حتى يتعرف إليه بأنه موسى بنى إسرائيل!!.

وقد قال الحافظ أبو الحسين بن المنادى بعد إيراده حديث أنس هذا : وأهل الحديث متفقون على أنه حديث منكر الإسناد سقيم المتن يتبين فيه أثر الصنعة.

فأما الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البيهقى قائلا : أخبرنا أبو عبدالله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن بالويه حدثنا محمد بن بشر بن مطر حدثنا كامل بن طلحة حدثنا عباد بن عبدالصمد عن أنس بن مالك .

قال: لما قبض رسول الله ﷺ أحدق به أصحابه فبكوا حوله واجتمعوا، فدخل رجل أشهب اللحية جسيم صبيح، فتخطى رقابهم فبكى، ثم التفت إلى أصحاب رسول الله ﷺ فقال: إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وعوضا من كل فائت، وخلفا من كل هالك، فإلى الله فأنيبوا، وإليه فارغبوا، نظره إليكم في البلاء فانظروا، فإن المصاب من لم يُجبر وانصرف، فقال بعضهم لبعض : تعرفون الرجل ؟ فقال أبو بكر وعلى : نعم، هو أخو رسول الله ﷺ الخضر - عليه السلام.

وقد رواه أبو بكر بن أبى الدنيا عن كامل بن طلحة به وفى متنه مخالفة لسياق البيهقى، ثم قال البيهقى: عباد بن عبدالصمد ضعيف وهذا منكر بمرة، وعباد بن عبدالصمد هذا هو ابن معمر البصرى روى عن أنس نسخة قال ابن حبان والعقيلى: أكثرها موضوع، وقال البخارى : منكر الحديث، وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث جدا منكره، وقال ابن عدى : عامة ما يرويه فى فضائل على ، وهو ضعيف غال فى التشيع.

وقال الشافعى فى مسنده، أخبرنا القاسم بن عبدالله بن عمر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده على بن الحسين قال : « لما توفى رسول الله ﷺ وجاءت التعزية سمعوا قائلا يقول : إن فى الله عزاء من كل مصيبة، وخلفا من كل هالك، ودركا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجعوا، فإن المصاب من حُرم الثواب، قال على بن الحسين : أتدرون من هذا؟ هذا الخضر».

شيخ الشافعى القاسم العمرى متروك، قال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين : يكذب زاد أحمد : ويضع الحديث، ثم هو مرسل ومثله لا يُعتمد عليه هـهنا، والله أعلم.

وقد روى - من وجه آخر ضعيف - عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه عن على، ولا يصح.

وقد روى عبدالله بن وهب حدثه عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر: أن عمر بن الخطاب بينما هو يصلي علي جنازة إذ سمع هاتفا وهو يقول : لا تسبقنا يرحمك الله، فانتظره حتى لحق بالصف، فذكر دعاءه للميت إن تعذبه فكثيراً عصاك وإن تغفر له ففقير إلي رحمتك.

ولما دفن قال : طوبى لك يا صاحب القبر إن لم تكن عريفا أو جابيا أو خازنا أو كاتبا أو شرطيا، فقال عمر : خذوا الرجل نسأله عن صلاته وكلامه عمن هو ؟ قال : فتوارى عنهم فنظروا فإذا أثر قدمه ذراع، فقال عمر : هذا والله الخضر الذى حدثنا عنه رسول الله ﷺ (وهذا الأثر فيه مبهم وفيه انقطاع ولا يصح مثله).

وروى الحافظ ابن عساكر عن الثورى عن عبدالله بن محرز عن يزيد بن الأصم عن على بن أبى طالب قال : « دخلت الطواف فى بعض الليل فإذا أنا برجل متعلق بأستار الكعبة .

وهو يقول : يا من لا يمنعه سمع من سمع، ويا من لا تغلطه المسائل، ويا من لايبرمه إلحاح الملحين، ولا مسألة السائلين، ارزقنى برد عفوك، وحلاوة رحمتك.

قال : فقلت : أعد على ما قلت، فقال لى : أو سمعته ؟ قلت : نعم، فقال لى : والذى نفس الخضر بيده - قال : وكان هو الخضر - لا يقولها عبد خلف صلاة مكتوبة إلا غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر وورق الشجر، وعدد النجوم لغفرها الله له».

وهذا ضعيف من جهة عبدالله بن المحرز فإنه متروك الحديث، ويزيد ابن الأصم لم يدرك علياً ومثل هذا لا يصح والله أعلم.

وقد رواه أبو إسماعيل الترمذى حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا صالح بن أبى الأسود عن محفوظ بن عبدالله الحضرمى عن محمد بن يحيى قال بينما على بن أبى طالب يطوف بالكعة، إذا هو برجل متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول : يا من لا يشغله سمع عن سمع، ويا من لا يغلطه السائلون، ويا من لا يتبرم بإلحاح الملحين، ارزقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك.

قال : فقال له على : يا عبدالله أعد دعاءك هذا، قال : أو قد سمعته ؟ قال : نعم، قال : فادع به فى دبر كل صلاة فوالذى نفس الخضر بيده لو

كان عليك من الذنوب عدد نجوم السماء ومطرها، وحصباء الأرض وترابها لغفر لك أسرع من طرفة عين (وهذا أيضا منقطع وفى إسناده من لا يعرف) والله أعلم.

وقد أورد ابن الجوزى من طريق أبى بكر بن أبى الدنيا حدثنا يعقوب ابن يوسف حدثنا مالك بن إسماعيل فذكر نحوه. ثم قال : وها إسناد مجهول منقطع وليس فيه ما يدل على أن الرجل الخضر.

وقد حدثنا الحافظ أبو القاسم ابن عساكر : أنبأنا أبو القاسم بن الحصين أنبأنا أبو طالب محمد بن محمد أنبأنا أبو إسحاق المزكى حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا محمد ابن أحمد بن يزيد أملاه علينا بعبادان أنبأنا عمرو بن عاصم حدثنا الحسن بن زريق عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبى ﷺ .

قال : «يلتقى الخضر وإلياس كل عام فى الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويتفرقان عن هؤلاء الكلمات : بسم الله، ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله، ما شاء الله، لا يصرف الشر إلا الله، ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله».

قال : وقال : ابن عباس : من قالهن حين يصبح وحين يمسى ثلاث مرات آمنه الله من الغرق والحرق والسرق، قال وأحسبه قال : ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب ... ، ... ، قال الدراقطنى فى الإفراد : هذا حديث غريب من حديث ابن جريج لم يحدث به غير هذا الشيخ عنه — يعنى : الحسن بن زريق — هذا وقد روى عنه محمد بن كثير العبدى أيضاً،

ومع هذا قال فيه الحافظ أبو أحمد بن عدى ليس بالمعروف، وقال الحافظ أبو جعفر العقيلى مجهول وحديثه غير محفوظ. وقال أبو الحسن بن المنادى : هو حديث واهٍ بالحسن بن زريق.

وقد روى ابن عساكر نحوه من طريق على بن الحسن الجهضمى – وهو كذاب – عن ضمرة بن حبيب المقدسى عن أبيه عن العلاء بن زياد القشيرى عن عبدالله بن الحسن عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب مرفوعاً قال: « يجتمع كل يوم عرفة بعرفات جبريل وميكائيل وإسرافيل والخضر»، وذكر حديثاً طويلاً موضوعاً.

وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيي الخشنى عن ابن أبى رواد قال : إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان فى كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل.

وروى ابن عساكر أن الوليد بن عبدالملك بن مروان بانى جامع دمشق أحب أن يتعبد ليلة فى المسجد فأمر القومة أن يخلوه له ففعلوا، فلما كان من الليل جاء من باب الساعات فدخل الجامع، فإذا رجل قائم يصلي فيما بينه وبين باب الخضراء، فقال للقومة : ألم آمركم أن تخلوه ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين هذا الخضر يجيء كل ليلة يصلى ههنا.

وقال ابن عساكر أيضا : أنبأنا أبو القاسم بن إسماعيل بن أحمد أنبأنا أبو بكر بن الطبرى أبو الحسين بن الفضل أنبأنا عبدالله بن جعفر حدثنا يعقوب – هو ابن سفيان الفسوى – حدثنى محمد بن عبدالعزيز

حدثنا حمزة عن السرى بن يحيى عن رباح بن عبيدة قال : رأيت رجلا يماشى عمر بن عبدالعزيز معتمداً على يديه، فقلت فى نفسى : إن هذا الرجل حافى، قال : فلما انصرف من الصلاة قلت من الرجل الذى كان معتمداً على يدك أنفاً؟ قال : وهل رأيته يا رباح ؟ قلت : نعم، قال ما أحسبك إلا رجلا صالحا ذاك أخى الخضر بشرنى أنى سألى وأعدل. قال الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى : الرملى مجروح عند العلماء. وقد قدح أبو الحسين بن المنادى فى ضمرة والسرى ورباح، ثم أورد من طرق أُخر عن عمر بن عبدالعزيز أنه اجتمع بالخضر وضعفها كلها.

وروى ابن عساكر أيضا : أنه اجتمع بإبراهيم التيمى وبسفيان بن عيينة وجماعة يطول ذكرهم، وهذه الروايات والحكايات هى عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم، وكل من الأحاديث المرفوعة ضعيفة جداً لا يقوم بمثلها حجة في الدين، والحكايات لا يخلوا أكثرها عن ضعف فى الإسناد.

وقال عبدالرزاق : أنبانا معمر عن الزهرى أخبرنى عبيدالله بن عبدالله ابن عتبة أن أبا سعيد قال:حدثنا رسول الله ﷺ حديثا طويلا عن الدجال، وقال فيما يحدثنا : يأتى الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو : من خيرهم –

فيقول : أشهد أنك أنت الدجال الذى حدثنا عنك رسول الله ﷺ بحديثه، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر ؟ فيقولون : لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحيى : والله ما كنت أشد بصيرة فيك منى الآن، قال : فيريد قتله الثانية فلا يسلط عليه.

قال معمر بلغنى أنه يجعل على حلقه صفيحة من نحاس، وبلغنى أنه الخضر الذى يقتله الدجال ثم يحييه، وهذا الحديث مُخرج في الصحيحين من حديث الزهرى به، وقال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الراوى عن مسلم الصحيح: « يقال إن هذا الرجل الخضر» وقول معمر وغيره «بلغنى» ليس فيه حجة، وقد ورد فى بعض ألفاظ الحديث : «فيأتى بشاب ممتلىء شبابا فيقتله»، وقوله « الذي حدثنا عنه رسول الله ﷺ لا يقتضى المشافهة بل يكفى التواتر

وقد تصدي الشيخ أبو الفرج بن الجوزى رحمه الله فى كتابه « عجالة المنتظر في شرح حالة الخضر» للأحاديث الواردة فى تلك المرفوعات فبين أنها موضوعات، ومن الآثار عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم فبين ضعف أسانيده، ببيان أحوالها، وجهالة رجالها، وقد أجاد فى ذلك وأحسن الانتقاد.

وأما الذين ذهبوا إلى أنه قد مات ومنهم البخارى وإبراهيم الحرى وأبو الحسين بن المنادى والشيخ أبو الفرج بن الجوزى، وقد انتصر لذلك وألف فيه كتاباً سماه «عجالة المنتظر فى شرح حالة الخضر» فيحتج لهم بأشياء كثيرة منها قوله :

قال تعالى : ﴿وما جعلْنا لبشرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤)﴾ [الأنبياء].

فالخضر إن كان بشراً فقد دخل فى هذا العموم لا محالة، ولا يجوز تخصيصه منه إلا بديل صحيح (انتهى)،

والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما فيه دليل على التخصيص عن

معصوم يجب قبوله. ومنها أن الله تعالى قال :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) ﴾ [آل عمران]

قال ابن عباس: ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به وينصرنه (ذكره البخارى عنه)، فالخضر إن كان نبيا أو وليا فقد دخل فى هذا الميثاق، فلو كان حيا فى زمن رسول الله ﷺ لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه، وينصره أن يصل أحد من الأعداء إليه، لأنه إن كان وليا فالصديق أفضل منه، وإن كان نبياً فموسى أفضل منه.

وقد روى الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أنبأنا مجالد عن الشعبى عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : « والذى نفسى بيده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى». وهذا الذى يقطع به ويعلم من الدين علم الضرورة، وقد دلت عليه هذه الآية الكريمة أن الأنبياء كلهم، لو فرض أنهم أحياء مكلفون فى زمن رسول الله ﷺ لكانوا كلهم أتباعا له وتحت أوامره وفى عموم شرعه.

كما أنه صلوات الله وسلامه عليه. لما اجتمع معهم ليلة الإسراء رفع فوقهم كلهم، ولما هبطوا معه إلى بيت المقدس وحانت الصلاة أمره جبريل عن أمر الله أن يؤمهم فصلى بهم فى محل ولايتهم ودار إقامتهم فدل على

أنه الإمام الأعظم والرسول الخاتم المبجل المقدم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فإذا علم هذا وهو معلوم عند كل مؤمن علم أنه لو كان الخضر حيا لكان من جملة أمة محمد ﷺ وممن يقتدي بشرعه لا يسعه إلا ذلك، هذا عيسى ابن مريم - عليه السلام -إذا نزل فى آخر الزمان يحكم بهذه الشريعة المطهرة، لا يخرج منها ولا يحيد عنها، وهو أحد أولى العزم الخمسة المرسلين وخاتم أنبياء بنى إسرائيل.

والمعلوم أن الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النفس إليه أنه اجتمع برسول الله ﷺ فى يوم واحد، ولم يشهد معه قتالا في مشهد من المشاهد، وهذا يوم بدر يقول الصادق المصدوق فيما دعا به لربه عز وجل واستنصره واستفتحه على من كفره : «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد بعدها فى الأرض، وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ، وسادة الملائكة حتى جبريل عليه السلام، كما قال حسان بن ثابت فى قصيدة له فى بيت يقال إنه أفخر بيت قالته العرب :

وثبير بدر إذ يرد وجوههم   جبريل تحت لوائنا ومحمدُ

فلو كان الخضر حيا لكان وقوفه تحت هذه الراية أشرف مقاماته وأعظم غزواته، قال القاضى أبو يعلي محمد بن الحسين بن الفراء الحنبلى: سئل بعض أصحابنا عن الخضر هل مات ؟ فقال : نعم، قال : وبلغنى مثل هذا عن أبى طاهر بن الغبارى، قال : وكان يحتج بأنه لو كان حيا لجاء إلى رسول الله ﷺ (نقله ابن الجوزى فى العجالة).

فإن قيل : فهل يقال إنه كان حاضرا فى هذه المواطن كلها ولكن لم يكن أحد يراه؟، فالجواب : أن الأصل عدم هذا الاحتمال البعيد الذى يلزم منه تخصيص العمومات بمجرد التوهمات.

ثم ما الحاصل له على هذا الاختفاء؟، وظهوره أعظم لأجره وأعلي فى مرتبته وأظهر لمعجزته، ثم لو كان باقيا بعده لكان تبليغه عن رسول الله ﷺ الأحاديث النبوية والآيات القرآنية وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والروايات المقلوبة، والآراء البدعية والأهواء العصبية، وقتاله مع المسلمين فى غزواتهم وشهوده جمعهم وجماعاتهم، ونفعه إياهم ودفعه الضرر عنهم ممن سواهم، وتسديده العلماء والحكام وتقريره الأدلة والأحكام أفضل ما يقال عنه من كونه فى الأمصار، وجوبه الفيافى والأقطار، واجتماعه بعباد لا يعرف أحوال كثير منهم، وجعله لهم كالنقيب المترجم عنهم، وهذا الذى ذكرناه لا يتوقف أحد فيه بعد التفهيم، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

ومن ذلك ما ثبت فى الصحيحين وغيرهما عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ صلي ليلة العشاء ثم قال : « أرأيتم ليلتكم هذه فإنه إلى مائة سنة لا يبقى ممن هو على وجه الأرض اليوم أحد». وفى رواية : «عين تطرف»، قال ابن عمر : فوهل الناس فى مقالة رسول الله ﷺ هذه وإنما أراد انخرام قرنه.

قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرزاق أنبأنا معمر عن الزهرى قال أخبرنى سالم بن عبدالله وأبو بكر بن سليمان بن أبى خيثمة أن عبد الله بن

عمر قال صلى رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء فى آخر حياته فلما سلم قام فقال : « أرأيتم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقى ممن على ظهر الأرض أحد» وأخرجه البخارى ومسلم من حديث الزهرى.

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن سليمان التيمى عن أبى نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ قبل موته بقليل أو بشهر : «ما من نفس منفوسة، أو ما منكم من نفس اليوم منفوسة يأتى عليها مائة سنة وهى يومذ حية». قال أحمد حدثنى موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال: « قبل أن يموت بشهر يسألوننى عن الساعة وإنما علمها عند الله أقسم بالله ماعلى الأرض نفس منفوسة اليوم يأتى عليها مائة سنة». وهكذا رواه مسلم من طريق أبى نضرة وأبى الزبير كل منهما عن جابر بن عبدالله به نحوه.

وقال الترمذى : حدثنا عباد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ «ما على الأرض من نفس منفوسة يأتى عليها مائة سنة». وهذا أيضا على شرط مسلم.

قال ابن الجوزى فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر.

قالوا: فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله ﷺ كما هو المظنون الذى يترقى في القوة إلي القطع فلا إشكال، وإن كان قد أدرك زمانه فهذا الحديث يقتضى أنه لم يعش بعد مائة سنة فيكون الآن مفقوداً لا موجودا لأنه داخل فى هذا العموم، والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله، والله أعلم.

وقد حكى الحافظ أبو القاسم السهيلى فى كتابه « التعريف والإعلام» عن البخارى وشيخه أبى بكر بن العربى أنه أدرك حياة النبى ﷺ، ولكن مات بعده لهذا الحديث، وفى كون البخارى رحمه الله يقول بها وأنه بقى إلى زمان النبى ﷺ نظر، ورجح السهيلى بقاءه وحكاه عن الأكثرين، قال · وأما اجتماعه مع النبى ﷺ وتعزيته لأهل البيت بعده فمروى من طرق صحاح، ثم ذكر ما تقدم مما ضعفناه ولم يورد أسانيدها، والله أعلم.

خبر ذى القرنيــن

قال الله تعالى :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾[الكهف]

هل كان نبيا

ذكر الله تعالى ذا القرنين هذا وأثنى عليه بالعدل، وأنه بلغ المشارق والمغارب، وملك الأقاليم وقهر أهلها، وسار فيهم بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المظفر المنصور القاهر المقسط، والصحيح أنه كان ملكا من الملوك العادلين وقيل : كان نبياً، وقيل : رسولا، وأغرب من قال : ملكا من الملائكة، وقد حكى هذا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فإنه سمع رجلاً يقول لآخر : ياذا القرنين فقال : «مه ما كفاكم أن تتسموا بأسماء الأنبياء حتى تسميتم بأسماء الملائكة» ذكره السهيلى.

وقد روى وكيع عن إسرائيل عن جابر عن مجاهد عند عبدالله بن عمرو قال : كان ذو القرنين نبيًا. وروى الحافظ ابن عساكر من حديث أبى محمد بن أبى نصر عن أبى إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن أبي ذؤيب حدثنا محمد بن حماد أنبأنا عبدالرزاق عن معمر عن ابن أبى ذؤيب عن المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «لا أدرى أتبع كان لعينا أم لا ؟ ولا أدرى الحدود كفارات لأهلها أم لا ؟ ولا أدرى ذو القرنين كان نبيا أم لا» (وهذا غريب من هذا الوجه).

وقال إسحاق بن بشر عن عثمان بن النساج عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال : كان ذو القرنين ملكاً صالحاً رضى الله عمله وأثنى عليه فى كتابه، وكان منصوراً، وكان الخضر وزيره، وذكر أن الخضر عليه السلام كان على مقدمة جيشه، وكان عنده بمنزلة المشاور الذى هو من الملك بمنزلة الوزير فى إصلاح الناس اليوم.

وقد ذكر الأزرقي وغيره : أن ذا القرنين أسلم على يدي إبراهيم الخليل، وطاف معه بالكعبة المكرمة هو وإسماعيل عليه السلام، وروى عن عبيد بن عمير وابنه عبد الله وغيرهما أن ذا القرنين حج ماشيا، وأن إبراهيم لما سمع بقدومه تلقاه، ودعا له ووصاه، وأن الله سخر لذى القرنين السحاب يحمله حيث أراد ، والله أعلم.

ما سبب تسميته بذى القرنين ؟

واختلفوا فى السبب الذى سمى به ذا القرنين فقيل لأنه كان له في رأسه شبه القرنين، قال وهيب بن منبه : كان له قرنان من نحاس فى رأسه (وهذا ضعيف).

وقال بعض أهل الكتاب: لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه بلغ قرنى الشمس غرباً وشرقاً، وملك ما بينهما من الأرض (وهذا أشبه من غيره)، وهو قول الزهرى.

وقال الحسن البصرى :كانت له غيدرتان من شعر يلفهما فسمى ذا القرنين.

وقال إسحاق بن بشر عن عبدالله بن زياد بن سمعان عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده[1] أنه قال : دعا ملكاً جباراً إلي الله فضربه على قرنه فكسره ورضه، ثم دعاه فدق قرنه الثانى فكسره فسمى ذا القرنين.

وروى الثورى عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن على بن أبى طالب أنه سُئل عن ذى القرنين فقال : كان عبداً ناصح الله فناصحه، دعا

(١) جده هو عبد الله بن عرو بن العاص.

قومه إلى الله فضربوه على قرنه فمات، فأحياه الله فدعا قومه إلي الله فضربوه على قرنه الآخر فمات ثم بعثه فسمى ذا القرنين، وهكذا رواه شعبة القاسم بن أبى بزة عن أبى الطفيل عن على به، وفى بعض الروايات عن أبى الطفيل عن على قال : لم يكن نبياً ولا رسولاً ولا ملكاً ولكن كان عبداً صالحاً.

وما اسمه ؟

وقد اختلف فى اسمه فروى الزبير بن بكار عن ابن عباس كان اسمه عبدالله بن الضحاك بن معد وقيل مصعب بن عبدالله بن قنان بن منصور ابن عبد الله بن الأزد بن غوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ابن قطحان.

وقد جاء فى حديث أنه كان من حمير وأمه رومية وأنه كان يقال له ابن الفيلسوف لعقله، وقد أنشد بعض الحميرين في ذلك شعراً يفتخر بكونه أحد أجداده فقال :

قد كان ذو القرنين جدى مسلما ملكا تدين له الملوك وتحشد

بلغ المشارق والمغارب يبتغى أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مغيب الشمس عند غروبها فى عين ذى خلب وثأط حرمد

من بعده بلقيس كانت عمتى ملكتهم حتى أتاها الهدهد

قال السهيلى : وقيل كان اسمه مرزبان بن مرزبة، ذكره ابن هشام وذكر فى موضع آخر أن اسمه : الصعب بن ذى مرائد وهو أول التبابعة، وهو الذى حكم لإبراهيم فى بئر السبع.

وقيل : إنه أفريدون بن أسفيان الذى قتل الضحاك، وفى خطبة قس : يا معشر أياد بن الصعب ذو القرنين، ملك الخافقين، وأذل الثقلين، وعمر ألفين، ثم كان ذلك كلحظة عين، ثم أنشد ابن هشام للأعشى :

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا   بالحنـو فى جـدث أشـم مقيما

وذكر الدارقطنى وابن ماكولا أن اسمه «هرمس»، ويقال: هرويس ابن قبطون بن رومى بن لنطى بن كشارخين بن يونان بن يافث بن نوح، فالله أعلم.

وقال إسحاق بن بشر : عن سعيد بن بشير، عن قتادة قال : اسكندر هو ذو القرنين، وأبوه أول القياصرة، وكان من ولد سام بن نوح - عليه السلام -.

فأما ذو القرنين الثانى فهو اسكندر بن فيلبس بن مصريم بن همس ابن مبطون بن رومى بن لنطي بن يونان بن يافث بن يونة بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومى بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل -

كذا نسبه الحافظ ابن عساكر فى تاريخه -المقدونى اليونانى المصرى بانى اسكندرية الذى يؤرخ بأيامه الروم وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل، كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة، وكان أرطاطاليس الفيلسوف وزيره، وهو الذى قتل دارا بن دارا وأل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم.

وإنما نبهنا عليه لأن كثيراً من الناس يعتقد أنهما واحد، وأن المذكور فى القرآن هو الذى كان أرطاطليس وزيره، فيقع بسبب ذلك خطأ كبير،

وفساد عريض طويل كثير، فإن الأول كان عبداً مؤمناً وملكاً عادلا وكان وزيره الخضر، وقد كان نبيا علي ما قررناه قبل هذا، وأما الثانى فكان مشركا وكان وزيره فيلسوفاً، وقد كان بين زمانيهما أبعد من ألفى سنة، فأين هذا من هذا؟ لا يستويان ولا يشتبهان إلا على غبى لا يعرف حقائق الأمور.

فقوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ... (٨٣) ﴾ كان سببه أن قريشاً سألوا اليهود عن شئ يمتحون به علم رسول الله ﷺ فقالوا لهم : سلوه عن رجل طواف فى الأرض وعن فتية خرجوا لا يدرى ما فعلوا؟، فأنزل الله تعالى قصة أصحاب الكهف وقصة ذى القرنين، ولهذا قال : ﴿ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ أى من خبره وشأنه ﴿ ذِكْرًا ﴾ أى : خبراً نافعاً كافيا فى تعريف أمره وشرح حاله فقال :

﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) ﴾[الكهف]

أى : وسعنا مملكته فى البلاد، وأعطيناه من آلات المملكة ما يستعين به على تحصيل ما يحاوله من المهمات العظيمة والمقاصد الجسيمة.

قال قتيبة عن أبى عوانه عن سماك عن حبيب بن حماد قال : كنت عند على بن أبى طالب وسأله رجل عن ذى القرنين كيف بلغ المشرق والمغرب؟ فقال له : «سخر له السحاب ومدت له الأسباب وبسط له فى النور» وقال أزيدك ؟ فسكت الرجل، وسكت على – رضى الله عنه –.

وعن أبى إسحاق السبيعى عن عمرو بن عبدالله الوادعى : «سمعت معاوية يقول: ملك الأرض أربعة : سليمان بن داود النبى –عليهما السلام–

وذو القرنين ورجل من أهل حلوان، ورجل آخر، فقيل له : الخضر؟ قال : لا.».

وقال الزبير بن بكار: حدثنى إبراهيم بن المنذر عن محمد بن الضحاك عن أبيه عن سفيان الثورى قال : «بلغنى أنه ملك الأرض كلها أربعة : مؤمنان وكافران، سليمان النبى وذو القرنين، ونمرود وبختنصر»، وهكذا قال سعيد بن بشير سواء.

وقال إسحاق بن بشر عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن قال: «كان ذو القرنين ملك بعد النمرود، وكان من قصته أنه كان رجلاً مسلماً صالحاً أتى المشرق والمغرب، مد الله له فى الأجل ونصره حتى قهر البلاد، واحتوى على الأموال، وفتح المدائن وقتل الرجال (يعنى الكفار)، وجال فى البلاد والقلاع، فسار حتى أتى المشرق والمغرب،

فذلك قول الله : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣)﴾ أى خبرا ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤)﴾[الكهف]

أى علما بطلب أسباب المنازل، قال إسحاق : وزعم مقاتل أنه كان يفتح المدائن ويجمع الكنوز، فمن اتبعه على دينه وتابعه عليه وإلا قتله.

وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وعبيد بن يعلي والسدى وقتادة والضحاك ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ يعنى : علماً، وقال قتادة ومطر الوراق: معالم الأرض ومنازلها وأعلامها وآثارها وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم يعنى : تعليم الألسنة كان لا يغزو قوما إلا

حدثهم بلغتهم، والصحيح أنه يعلم كل سبب يتوصل به إلي نيل مقصوده فى المملكة وغيرها ، فإنه كان يأخذ من كل إقليم من الأمتعة والمطاعم والزاد ما يكفيه ويعينه على أهل الإقليم الآخر

وذكر بعض أهل الكتاب أنه مكث ألفا وستمائة سنة يجوب الأرض ويدعو أهلها إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وفى كل هذه المدة نظر، والله أعلم.

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى- وقد روى البيهقى وابن عساكر حديثا متعلقا بقوله ﴿ وآتيناهُ من كُلِّ شيْءٍ سببًا ﴾ مطولا جدا (وهو منكر جداً)، وفى إسناده محمد بن يونس الكديمى وهو متهم، فلهذا لم نكتبه لسقوطه عندنا، والله أعلم.

وقوله ﴿ فَأَتْبع سببًا (٨٥) ﴾ أى طريقا، ﴿ حتَّىٰ إذا بلَغ مغْرب الشَّمْسِ ﴾

يعنى من الأرض انتهى إلي حيث لايمكن أحد أن يجاوزه، ووقف على حافة البحر المحيط الغربى الذى يقال له أوقيانوس الذى فيه الجزائر المسماة بالخالدات، التى هى مبدأ الأطوال على أحد قولى أرباب الهيئة، والثانى من ساحل هذا البحر كما قدمنا،

وعنده شاهد مغيب الشمس فيما رآه بالنسبة إلى مشاهدته ﴿ وجدها تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حمئةٍ ﴾ والمراد بها البحر فى نظره فإن من كان فى البحر أو على ساحله يرى الشمس كأنها تطلع من البحر وتغرب فيه، ولهذا قال ﴿ وجدها ﴾ أى فى نظره، ولم يقل «فإذا هى» (تغرب فى عين حمئة) أى ذات حمأة.

قال كعب الأحبار   وهو الطين الأسود، وقرأه بعضهم : «حامية»، فقيل يرجع إلى الأول، وقيل من الحرارة وذلك من شدة المقابلة لوهج ضوء الشمس وشعاعها

وقد روى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى مولى لعبدالله بن عمرو عن عبد الله قال : نظر رسول الله ﷺ إلي الشمس حين غابت فقال : «فى نار الله الحامية لولا ما يزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض» (وفيه غرابة، وفيه رجل مبهم لم يُسم، ورفعه فيه نظر، وقد يكون موقوفا من كلام عبدالله بن عمرو، فإنه أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب المتقدمين فكان يُحدث منها) والله أعلم.

ومن زعم من القصاص أن ذا القرنين جاوز مغرب الشمس وصار يمشى بجيوشه فى ظلمات مدداً طويلة فقد أخطأوا بعد النجعة، وقالوا ما يخالف العقل والنقل.

بيان طلب ذى القرنين عين الحياة

وقاد ذكر ابن عساكر من طريق وكيع عن أبيه عن معتمر بن سليمان عن أبى جعفر الباقر عن أبيه زين العابدين خبراً مطولا جداً فيه : أن ذا القرنين كان له صاحب من الملاكة يقال له : «رناقيل»، فسأله ذو القرنين هل تعلم فى الأرض عيناً يقال لها عين الحياة ؟ فذكر له صفة مكانها، فذهب ذو القرنين فى طلبها وجعل الخضر على مقدمته، فانتهى الخضر إليها فى واد فى أرض الظلمات فشرب منها، ولم يهتد ذو القرنين إليها .

وذكر اجتماع ذى القرنين ببعض الملائكة فى قصر هناك، وأنه أعطاه حجراً فلما رجع إلى جيشه سأل العلماء عنه فوضوعه فى كفة ميزان وجعلوا فى مقابلته ألف حجر مثله فوزنها، حتى سأل الخضر فوضع قباله حجراً وجعل عليه حفنة من تراب فرجح به، وقال: « هذا مثل ابن آدم لا يشبع حتى يوارى بالتراب»، فسجد له العلماء تكريما له وإعظاما والله أعلم.

ثم ذكر تعالى أنه حكم فى أهل تلك الناحية: ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾[الكهف]

أي فيجتمع عليه عذاب الدنيا والآخرة، وبدأ بعذاب الدنيا لأنه أزجر عند الكافر: ﴿ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[الكهف]

فبدأ بالأهم وهو ثواب الآخرة، وعطف عليه الإحسان منه إليه، وهذا هو العدلوالعلم والإيمان،

قال الله تعالى ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ أي سلك طريقا راجعا من المغرب إلى المشرق فيقال إنه رجع في ثنتى عشة سنة ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾[الكهف]

أى ليس لهم بيوت ولا أكنان يستترون بها من حر الشمس، قال كثير من العلماء : ولكن كانوا يأوون إذا اشتد عليهم الحر إلي أسراب قد اتخذوها فى الأرض شبه القبور قال الله تعالي

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾[الكهف]

أي ونحن نعلم ما هو عليه ونحفظه ونكلؤه بحراستنا فى مسيرة ذلك كله من مغارب الأرض إلي مشارقها.

وقد روى عن عبيد بن عمير وابنه عبدالله وغيرهما من السلف أن ذا القرنين حج ماشيا فلما سمع إبراهيم الخليل بقدومه تلقاه، فلما اجتمعا دعا له الخليل ووصاه بوصايا، ويقال : أنه جيء بفرس ليركبها فقال : لا أركب في بلد فيه الخليل، فسخر الله له السحاب، وبشره إبراهيم بذلك فكانت تحمله إذا أراد. وقوله تعالي .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾[الكهف]، يعنى غُشما.

يقال إنهم هم الترك أبناء عم يأجوج ومأجوج، فذكروا له أن هاتين القبيلتين قد تعدوا عليهم، وأفسدوا فى بلادهم وقطعوا السبيل عليهم، وبذلوا له حملا وهو الخراج علي أن يقيم بينهم وبينهم حاجزا يمنعهم من الوصول

إليهم، فامتنع من أخذ الخراج اكتفاء بما أعطاه الله من الأموال الجريلة ﴿قال ما مكّنّي فيـــه ربّي خيرٌ﴾ ثم طلب منهم أن يجمعوا له رجالا وآلات ليبنى بينهم وبينهم سدا وهو الردم بين الجبلين وكانوا لا يستطيعون الخروج إليهم إلا من بينهما، وبقية ذلك بحار مغرقة وجبال شاهقة، فبناه كما قال تعالي من الحديد والقطر وهو: النحاس المذاب وقيل: الرصاص، والصحيح الأول، فجعل بدل اللبن حديداً، وبدل الطين نحاساً، ولهذا قال تعالي: ﴿فما اسْطَاعُوا أن يظْهرُوهُ﴾

أي يعلون عليه بسلالم ولا غيرها ﴿وما اسْتطاعُوا لهُ نقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أي بمعاول ولا فئوس ولا غيرها، فقابل الأسهل بالأسهل، والأشد بالأشد،

﴿قَالَ هَذَا رحْمَةٌ مّن رَّبِّي﴾ أى قدر الله وجوده ليكون رحمة منه بعباده أن يمنع بسببه عدوان هؤلاء القوم علي من جاورهم في تلك المحلة

﴿فَإذَا جاءَ وَعْدُ ربِّي﴾ أي الوقت الذي قدر خروجهم علي الناس في آخر الزمان ﴿جعَلَهُ دكَّاء﴾ أي مساويا للأرض ولابد من كون هذا، ولهذا قال ﴿وكَانَ وَعْدُ ربِّي حقًّا ﴿٩٨﴾﴾

كما قال تعالي: ﴿حتَّىٰ إذَا فُتحتْ يَأْجُوجُ ومأْجُوجُ وهُم مّن كُلِّ حدبٍ ينـــسلُونَ ﴿٩٦﴾ واقْتَربَ الْوَعْدُ الْحقُّ فَإذا هي شاخصَةٌ أَبْصارُ الَّذيـــن كفرُوا يا ويْلَنَا قَدْ كُنَّا في غَفْلَةٍ مّنْ هذا بلْ كُنَّا ظَالمين ﴿٩٧﴾﴾[الأنبياء]

ولذا قال هـهنا . ﴿وتركْنَا بعْضهُمْ يومئذٍ يمُوجُ في بعْضٍ .. ﴿٩٩﴾﴾ يعنى يوم فتح السد علي الصحيح ﴿.. ونُفخ في الـــصُّور فجمعْناهُمْ جمْعًا ﴿٩٩﴾﴾[الكهف]

قال أبو داود الطيالسي عن الثورى بلغنا أن أول من صافح ذو القرنين وروى عن كعب الأحبار أنه قال لمعاوية إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصي أنه إذا هو مات أن تصنع طعاما وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهم وتأذن لهن فيه إلا من كانت ثكلي فلا تأكل منه شيئا،

فلما فعلت ذلك لم تضع واحد منهن يدها فيه فقالت لهن : سبحان الله كلكن ثكلي ؟ فقلن أي والله، ما منا إلا من اثكلت فكان ذلك تسلية لأمه.

وذكر إسحاق بن بشر عن عبدالله بن زياد عن بعض أهل الكتاب وصية ذى القرنين وموعظة أمه موعظة بليغة طويلة فيها حكم وأمور نافعة، وأنه مات وعمره ثلاث آلاف سنة (وهذا غريب).

قال ابن عساكر وبلغنى من وجه آخر أنه عاش ستا وثلاثين سنة، وقيل : كان عمره ثنتين وثلاثين سنة، وكان بعد داود بسبعمائة سنة وأربعين سنة، وكان بعد آدم بخمسة آلاف ومائة وإحدي وثمانين سنة، وكان ملكه ست عشرة سنة، وهذا الذي ذكره إنما ينطبق على الاسكندر الثانى لا الأول، وقد خلط في أول الترجمة وآخرها بينهما، والصواب التفرقة كما ذكرنا اقتداء بجماعة من الحفاظ، والله أعلم.

ومن جعلهما واحدا الإمام عبد الملك بن هشام راوى السيرة وقد أنكر ذلك عليه الحافظ أبو القاسم السهيلي رحمه الله إنكاراً بليغاً، ورد قوله رداً شنيعاً، وفرق بينهما تفريقاً جيداً كما قدمنا، قال : ولعل جماعة من الملوك المتقدمين تسموا بذى القرنين تشبها بالأول، والله أعلم.

ذكر أمتى يأجوج ومأجوج

و صفاتهم، وما ورد من أخبارهم، و صفه

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾ [الكهف].

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) ﴾ [الأنبياء].

هم من ذرية آدم بلا خلاف نعلمه، ثم الدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من طريق الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ذريتك فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير .

قال تعالي : ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢) ﴾[الحج]

قالوا يارسول الله أينا ذلك الواحد ؟ فقال رسول الله ﷺ: «أبشروا فإن منكم واحداً، ومن يأجوج ومأجوج ألفا»، وفى رواية : «أبشروا فإن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرتاه - أى غلبتاه - كثرة»، وهذا يدل علي كثرتهم وأنهم أضعاف الناس مراراً عديدة،

ثم هم من ذرية نوح، لأن الله تعالي أخبر أنه استجاب لعبده نوح في دعائه علي أهل الأرض بقوله :

﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) ﴾[نوح]

وقال تعالي : ﴿ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٥) ﴾ [العنكبوت]

وقال تعالي: ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٧) ﴾ [الصافات].

وفي الحديث المروى في المسند والسنن : «أن نوحا ولد له ثلاثة وهم : سام وحام ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك»، فيأجوج ومأجوج طائفة من الترك وهم مغل المغول، وهم أشد بأسا وأكثر فسادا من هؤلاء، ونسبتهم إليهم كنسبة هؤلاء إلي غيرهم، وقد قيل : أن الترك إنما سموا بذلك حين بنى ذو القرنين السد وألجأ يأجوج وأجوج إلي ما وراءه فبقيت منهم طائفة لم يكن عندهم فساد كفسادهم فتركوا من ورائه، فلهذا قيل لهم الترك.

ومن زعم أن يأجوج ومأجوج خلقوا من نطفة آدم حين احتلم فاختلطت بتراب فخلقوا من ذلك، وأنهم ليسوا من حواء فهو قول حكاه الشيخ أبو زكريا النووى في شرح مسلم وغيره وضعفوه، وهو جدير بذلك،

إذ لا دليل عليه بل هو مخالف لما ذكرناه من أن جميع الناس اليوم من ذرية نوح بنص القرآن، وهكذا من زعم أنهم علي أشكال مختلفة وأطوال متباينة جداً، فمنهم من هو كالنخلة السحوق، ومنهم من هو غاية في القصر، ومنهم من يفترش أذنا من أذنيه ويتغطى بالأخرى،

فكل هذه أقوال بلا دليل ورجم بالغيب بغير برهان، والصحيح أنهم من بنى آدم وعلي أشكالهم وصفاتهم، وقد قال النبي ﷺ «إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعا ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الآن»، وهذا فيصل في هذا الباب وغيره.

وما قيل من أن أحدهم لا يموت حتى يرى من ذريته ألفا فإن صح في خبر قلنا به، وإلا فلا نرده، إذ يحتمله العقل، والنقل أيضا قد يرشد إليه، والله أعلم، بل قد ورد حديث مصرح بذلك - إن صح - : قال الطبرانى حدثنا عبدالله بن محمد بن العباس الأصبهانى حدثنا أبو مسعود أحمد بن الفرات حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا المغيرة عن مسلم عن أبي إسحاق عن وهب بن جابر عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ

قال «إن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، ولو أرسلوا لأفسدوا علي الناس معائشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا وإن من ورائهم ثلاث أمم تاويل وتاريس ومنسك» (وهو حديث غريب جداً وإسناده ضعيف، وفيه نكارة شديدة).

وأما الحديث الذي ذكره ابن جرير في تاريخه أن رسول الله ﷺ ذهب إليهم ليلة الإسراء فدعاهم إلي الله فامتنعوا من إجابته ومتابعته وأنه دعا تلك الأمم التي هناك (تاريس، وتاويل، ومنسك) فأجابوه، فهو حديث

موضوع، اختلقه أبو نعيم عمرو بن الصبح أحد الكذابين الكبار الذى اعترفوا بوضع الحديث، والله أعلم.

سؤال مهم جدا :

فإن قيل فكيف دل الحديث المتفق عليه أنهم فداء المؤمنين يوم القيامة، وأنهم في النار ولم يبعث إليهم رسل ؟

وقد قال الله تعالي ﴿وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا﴾ فالجواب : أنهم لا يعذبون إلا بعد قيام الحجة عليهم والأعذار إليهم كما قال تعالي ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾

فإن كانوا في الزمن الذى قبل بعث محمد ﷺ قد أتتهم رسل منهم فقد قامت على أولئك الحجة، وإن لم يكن بعث الله إليه رسلا فهم فى حكم أهل الفترة ومن لم تبلغه الدعوة، وقد دل الحديث المروى من طرق عن جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ «أن من كان كذلك يفمتحن فى عرصات (ساحات) القيامة فمن أجاب الداعى دخل الجنة ومن أبي دخل النار»

وقد حكاه الشيخ أبو الحسن الأشعرى إجماعاً عن أهل السنة والجماعة وامتحانهم لا يقتضى نجاتهم ولا ينافى الأخبار عنهم بأنهم من أهل النار، لأن الله يطلع رسوله ﷺ على ما يشاء من أمر الغيب، وقد أطلعه على أن هؤلاء من أهل الشقاء، وأن سجاياهم تأبي قبول الحق والانقياد له، فهم لا يجيبون الداعى إلي يوم القيامة.

فيعلم من هذا أنهم كانوا أشد تكذيبا للحق فى الدنيا لو بلغهم فيها،

لأن في عرصات القيامة ينقاد خلق ممن كان مكذبا في الدنيا. فإيقاع الإيمان هناك لما يشاهد من الأهوال أولي وأحرى منه في الدنيا والله أعلم.

كما قال تعالى ﴿ولو ترى إذ المُجْرِمُون ناكسُوا رُءُوسهم عند ربهم ربَّنا أبْصرْنا وسمعْنا فارْجعْنا نعْملْ صالحًا إنَّا مُوقنُون (١٢)﴾[السجدة]

وقال تعالى ﴿أسْمعْ بهمْ وأبْصرْ يوْم يأْتُوننا لكن الظَّالمُون الْيوْم في ضلال مُبين (٣٨)﴾ [مريم].

وأما الحديث الذي فيه أن رسول الله ﷺ دعاهم ليلة الإسراء فلم يجيبوا فإنه حديث منكر، بل موضوع وضعه عمرو بن الصبح.

بناء السد :

وأما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم، قال البخارى : «وقال رجل للنبى ﷺ رأيت السد، قال : كيف رأيته ؟ قال : مثل البرد المحبر : فقال : رأيته هكذا» ذكره البخارى معلقا بصيغة الجزم.

قال ابن كثير -رحمه الله- ولم أره مسندا من وجه متصل أرتضيه.

غير أن ابن جرير رواه في تفسيره مرسلا فقال : حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : «ذكر لنا أن رجلا قال : يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال : «انعته لي»، قال : كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء، قال : «قد رأيته».

رجل شاهد السد :

وقد ذكر أن الخليفة الواثق بعث رسلا من جهته وكتب لهم كتبا إلي الملوك يوصلونهم من بلاد إلي بلاد حتى ينهوا إلي السد فيكشفوا عن خبره، وينظروا كيف بناه ذو القرنين على أى صفة؟ فلما رجعوا أخبروا عن صفته، وأن فيه بابا عظيما وعليه أقفال، وأنه بناء محكم شاهق منيف جدا، وأن بقية اللبن الحديد والآلات فى برج هناك.

وذكروا أنه لايزال هناك حرس لتلك الملوك المتاخمة لتلك البلاد، ومحلته فى شرقى الأرض في جهة الشمال في زاوية الأرض الشرقية الشمالية، ويقال : إن بلادهم متسعة جدا، وأنهم يقتاتون بأصناف من المعايش من حراثه وزراعة واصطياد من البر ومن البحر وهم أمم وخلق لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم.

فإن قيل فما الجمع بين قوله تعالى :

﴿فما اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[الكهف]

وبين الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنها قالت استيقظ رسول الله من نومه مُحمرا وجهه وهو يقول : « لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وحلق تسعين»، قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟، قال : « نعم إذا كثر الخبث» .

وأخرجاه في الصحيحين من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هيرة قال : قال رسول الله ﷺ «فتح اليوم من ردم يأجوج

ومأجوج مثل هذا وعقد تسعين» فالجواب أما على قول من ذهب إلي أن هذا إشارة إلي فتح أبواب الشر والفتن وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال.، وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال أيضا لأن قوله

﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) ﴾ [الكهف]

أى فى ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله، لهم في ذلك قدرا وتسليطهم عليه بالتدريج قليلا قليلا حتى يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور فيخرجون،

كما قال الله تعالى: ﴿ وهم من كل حدب ينسلون ﴾

ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الإمام أحمد في مسنده قائلا : حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا أبو رافع عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ .

قال: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً فيعودون إليه كأشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرون غدا إن شاء الله -ويستثنى-

فيعودون إليه وهو كهيئة يوم تركوه، فيحفرونه ويخرجون علي الناس فيستقون المياه، وتتحصن الناس في حصونهم فيرمون بسهامهم إلي السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون : قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل

السماء فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فيقتلهم بها، قال رسول الله ﷺ والذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكراً من لحومهم ودمائهم» ورواه أحمد أيضا عن حسن بن موسي عن سفيان عن قتادة به، وهكذا رواه ابن ماجه من حديث سعيد عن قتادة إلا أنه قال : حدثنا أبو رافع، ورواه الترمذى من حديث أبي عوانة عن قتادة به. ثم قال : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

فقد أخبر فى هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا يرون شعاع الشمس من ورائه لرقته، فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظاً، وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار - كما قاله بعضهم - فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظاً فيكون محمولاً علي أن صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم، كما هو المروى عن كعب الأحبار.

أو يكون المراد بقوله ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أى نافذا منه فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم وعلي هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في الصحيحين عن أبي هريرة « فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد تسعين» أى فتح فتحاً نافذاً فيه والله أعلم.

قصة أصحاب الكهف والرقيم

قال الله تعالي :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۝١٦ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ۝١٧ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ۝١٨ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي

مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [الكهف].

كان سبب نزول قصة أصحاب الكهف وخبر ذى القرنين ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة وغيره إن قريشاً : بعثوا إلي اليهود يسألونهم عن أشياء يمتحنون بها رسول الله ﷺ ويسألونه عنها، ليختبروا ما يجيب به فيها، فقالوا : سلوه عن أقوام ذهبوا فى الدهر فلا يدرى ما صنعوا؟ وعن رجل طواف في الأرض وعن الروح ؟

فأنزل الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً (٨٥) ﴾ [الإسراء]،

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) ﴾[الكهف]

وقال هـهنا: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ⑨ ﴾ أي ليسوا بعجب عظيم بالنسبة إلي ما أطلعناك عليه من الأخبار العظيمة والآيات الباهرة والعجائب الغريبة.

والكهف هو : الغار في الجبل، قال شعيب الجبائى : واسم كهفهم حيز، وأما ﴿الرَّقِيمِ﴾ فعن ابن عباس أنه قال : لا أدرى ما المراد به، وقيل: هو الكتاب المرقوم فيه أسماؤهم وما جرى لهم كتب من بعدهم - اختاره ابن جرير وغيره وقيل: هو اسم الجبل الذى فيه كهفهم. قال ابن عباس وشعيب الجبائى واسمه بناجلوس، وقيل : هو اسم واد عند كهفهم وقيل اسم قرية هنالك . والله أعلم.

قال شعيب الجبائى : واسم كلبهم حران.

واعتناء اليهود بأمره ومعرفة خبرهم يدل علي أن زمانهم متقدم على ما ذكره بعض المفسرين أنهم كانوا بعد المسيح وأنهم كانوا نصارى، والظاهر من السياق أن قومهم كانوا مشركين يعبدون الأصنام، قال كثير من المفسرين والمؤرخين وغيرهم: كانوا في زمن ملك يقال له : «دقياتوس» وكانوا من أبناء الأكابر.

وقيل : من أبناء الملوك واتفق اجتماعهم في يوم عيد لقومهم، فرأوا ما يتعاطاه قومهم من السجود للأصنام والتعظيم للأوثان فنظروا بعين البصيرة وكشف الله عن قلوبهم حجاب الغفلة والهمهم رشدهم، فعلموا أن قومهم ليسوا على شيء، فخرجوا من دينهم وانتموا إلي عبادة الله وحده لا شريك له، ويقال: إن كل واحد منهم لما أوقع الله فى نفسه ما هداه إليه من

التوحيد انحاز عن الناس، واتفق اجتماع هؤلاء الفتية في مكان واحد كما صح في البخارى «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

فكل منهم سأل الآخر عن أمره وعن شأنه فأخبره ماهو عليه، واتفقوا علي الإنحياز عن قومهم والتبرى منهم، والخروج من بين أظهرهم والفرار بدينهم منه، وهو المشروع حال الفتن وظهور الشرور،

قال الله تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ [الكهف]

أى بدليل ظاهر على ما ذهبوا إليه وصاروا من الأمر إليه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾[الكهف] أي وإذا فارقتموهم في دينهم وتبرأتم مما يعبدون من دون الله، وذلك لأنهم كانوا يشركون مع الله كما قال الخليل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) ﴾ [الزخرف]

وهكذا هؤلاء الفتية قال بعضهم : إذ قد فارقتم قومكم في دينهم فاعتزلوهم بأبدانكم، لتسلموا منهم أن يوصلوا إليكم شرا . ﴿ ... فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (١٦) ﴾[الكهف]

أي يسبل عليكم ستره، وتكونوا تحت حفظه وكنفه، ويجعل عاقبة أمركم إلي خير، كما جاء في الحديث « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا، ومن عذاب الآخرة» ثم ذكر تعالي صفة الغار الذى آووا إليه، وأن بابه موجه إلي نحو الشمال، وأعماقه إلي جهة القبلة، وذلك أنفع الأماكن أن يكون المكان قبليا وبابه نحو الشمال[1] فقال :

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ ﴾ [الكهف] وقرىء تزور ﴿ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾[الكهف]

فأخبر أن الشمس يعنى فى زمن الصيف وأشباهه تشرق أول طلوعها في الغار فى جانبه الغربى ثم تشرع في الخروج منه قليلا قليلاً، وهو أزورارها ذات اليمن، فترتفع في جو السماء وتتقلص عن باب الغار، ثم إذا تضيفت للغروب تشرع في الدخول فيه من جهته الشرقية قليلاً قليلاً إلي حين الغروب كما هو المشاهد بمثل هذا المكان، والحكمة في دخول الشمس إليه في بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه ﴿ ... وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ... ﴾ [الكهف]

أى بقاؤهم على هذه الصفة دهراً طويلاً من السنين لا يأكلون ولا يشربون ولا تتغذى أجسادهم في هذه المدة الطويلة من آيات الله وبرهان قدرته العظيمة ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[الكهف]

---

(١) باب من الجهة البحرية .

قال بعضهم : لأن أعينهم مفتوحة لئلا تفسد بطول الغمض

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ [الكهف]

قيل : في كل عام يتحولون مرة من جنب إلي جنب ويحتمل أكثر من ذلك . فالله أعلم.

﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف]

قال شعيب الجبائى اسم كلبهم «حمران» ، وقال غيره ﴿ الوصيد ﴾ اسكفة الباب، والمراد أن كلبهم الذي كان معهم وصحبهم حال انفرادهم من قومهم لزمهم ولم يدخل معهم في الكهف بل ربض علي بابه ووضع يديه علي الوصيد[1]، وهذا من جملة أدبه ومن جملة ما أكرموا به فإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب.

ولما كانت التبعية مؤثرة حتى كان في كلب هؤلاء صار باقيا معهم ببقائهم لأن من أحب قوما «سعد بهم فإذا كان هذا فى حق كلب فما ظنك بمن تبع أهل الخير وهو أهل للإكرام ؟! وقد ذكر كثيرمن القصاص والمفسرين لهذا الكلب نبأ وخبراً طويلاً أكثره متلقى من الإسرائيليات وكثيرمنها كذب ومما لا فائدة فيه كاختلافهم فى اسمه ولونه.

وأما اختلاف العلماء فى محلة هذا الكهف فقال كثيرون : هو بأرض أيلة، وقيل : بأرض نينوى، وقيل : بالبلقاء وقيل : ببلاد الروم، وهو أشبه[2]، والله أعلم.

---

(١)الباب.

(٢) أعلن أخيراً أن الكهف فى جبل الرجيب بالأردن.

ولما ذكر الله تعالى ما هو الأنفع من خبرهم والأهم من أمره ووصف حالهم حتى كأن السامع راء والمخبر مشاهد لصفة كهفهم وكيفيتهم في ذلك الكهف «ونقلبهم من جنب إلى جنب وإن كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد، قال:

﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف]

أي لما عليهم من المهابة والجلالة في أمرهم الذي صاروا إليه ولعل الخطاب ههنا لجنس الإنسان المخاطب لا بخصوصية الرسول ﷺ كقوله:

﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ ﴾ [التين].

أي أيها الإنسان وذلك لأن طبيعة البشرية تفر من رؤية الأشياء المهيبة غالباً ولهذا قال: ﴿ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف]

ودل على أن الخبر ليس كالمعاينة كما جاء فى الحديث، لأن الخبر قد حصل ولم يحصل الفرار ولا الرعب، ثم ذكر تعالى أنه بعثهم من رقدتهم بعد نومهم بثلاثائة سنة وتسع سنين فلما استيقظوا قال بعضهم لبعض ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾[الكهف]

أي بدراهمهم هذه يعنى التى معهم إلي المدينة، ويقال :كان اسمها دفوس ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أى أطيب مالا ﴿ فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ أي بطعام تأكلونه وهذا من زهدهم وورعهم، ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أى فى دخوله إليها ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ ﴾[لكهف]

أى إن عدتم فى ملتهم بعد إذ أنقذكم الله منها، وهذا كله لظنهم أنهم رقدوا يوما أو بعض يوم أو أكثر من ذلك، ولم يحسبوا أنهم قد رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة، وقد تبد لت الدول أطواراً عديدة وتغيرت البلاد ومن عليها، وذهب أولئك القرن الذين كانوا فيهم وجاء غيرهم، وذهبوا وجاء غيرهم، ولهذا لما خرج أحدهم وجاء إلى المدينة متنكرا لئلا يعرفه أحد من قومه، فيما يحسبه – تنكرت له البلاد واستنكره من يراه من أهلها، واستغربوا شكله وصفته ودراهمه.

فيقال : إنهم حملوه إلي متوليهم وخافوا من أمره أن يكون جاسوساً، أو تكون له صوله يخشون من مضرتها، فيقال : أنه هرب منهم، ويقال : بل أخبرهم خبره ومن معه وما كان من أمرهم فانطلقوا معه ليريهم مكانهم، فلما قربوا من الكهف دخل إلى إخوانه فأخبرهم حقيقة أمرهم ومقدار ما رقدوا فعلموا أن هذا أمر قدره الله، فيقال : إنهم استمروا راقدين، ويقال : بل ماتوا بعد ذلك.

وأما أهل البلدة فيقال إنهم لم يهتدوا إلى موضعهم من الغار وعمى الله عليهم أمرهم، ويقال : لم يستطيعوا دخوله جبنا، ويقال : مهابة لهم.

واختلفوا فى فى أمرهم فقوم يقولون ﴿ ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا ﴾ أى سدوا عليهم باب الكهف لئلا يخرجوا أو لئلا يصل إليهم ما يؤذيهم، وآخرون وهم الغالبون على أمرهم قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً﴾ أى معبدا يكون مباركاً لمجاورته هؤلاء الصالحين، وهذا كان شائعا فيمن كان قبلنا، فأما فى شرعنا فقدثبت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما فعلوا.

وأما قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا ﴾[الكهف]

فمعنى أثرنا أطلعنا على أمرهم الناس، قال كثير من المفسرين : ليعلم الناس أن المعاد حق وأن الساعة لا ريب فيها، إذا علموا أن هؤلاء القوم رقدوا أزيد من ثلثمائة سنة ثم قاموا كما كانوا من غير تغير منهم فإن من أبقاهم كما هو قادر على إعادة الأبدان وإن أكلتها الديدان، وعلي إحياء الأموات وإن صارت أجسامهم وعظامهم رفاتا، وهذا مما لا يشك فيه المؤمنون :

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) ﴾[يس]

هذا ويحتمل عود الضمير فى قوله ﴿ لِيَعْلَمُوا ﴾ إلى أصحاب الكهف إذ علمهم بذلك من أنفسهم أبلغ من علم غيرهم بهم : ويحتمل أن يعود على الجميع والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾[الكهف]

فذكر اختلاف الناس فى عددهم فحكى ثلاثة أقوال وضعف الأولين وقرر الثالث فدل على أنه الحق إذ لو قيل غير ذلك لحكاه، ولو لم يكن هذا الثالث هو الصحيح لوهاه فدل على ما قلناه، ولما كان النزاع فى مثل هذا لا طائل تحته ولا جدوى عنده أرشد نبيه ﷺ إلي الأدب في مثل هذا الحال إذا اختلف الناس فيه أن يقول : «الله أعلم».

ولهذا قال : ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ وقوله : ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ أى من الناس ﴿ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا ﴾ أى سهلاً ولا تتكلف أعمال الجدال فى مثل هذا الحال ﴿ وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾

من الرجال، ولهذا أبهم تعالى عدتهم فى أول القصة فقال : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ ﴾ ولو كان فى تعين عدتهم كبير فائدة لذكرها عالم الغيب والشهادة.

وقوله تعالي : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾[الكهف]

أدب عظيم أرشده الله تعالى إليه وحث خلقه عليه، وهو ما إذا قال أحدهم إنى سأفعل فى المستقبل كذا فيشرع له أن يقول : «إن شاء الله»، ليكون ذلك تحقيقا لعزمه، لأن العبد لا يعلم ما في غد ولا يدرى أهذا الذى عزم عليه مقدر أم لا ؟ وليس هذا الاستثناء تعليقا وإنما هو الحقيقى.

ولهذا قال ابن عباس : يصح إلى سنة ولكن قد يكون في بعض الحال لهذا، ولهذا كما فى قصة سليمان -عليه السلام- حين قال : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل واحد منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله.

فقيل له : «قل إن شاء الله شئ، فلم يقل، فطاف فلم تلد منهم إلا امرأة واحدة نصف إنسان، قال رسول الله ﷺ : «والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته».

وقوله ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ وذلك لأن النسيان قد يكون من الشيطان فذكر الله يطرده عن القلب فيذكر ا كان قد نسيه، وقوله

﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا (٢٤) ﴾[الكهف]

أي : إذا اشتبه أمر وأشكل حال والتبس أقوال الناس فى شىء فارغب إلي الله ييسره لك ويسهله عليك، ثم قال :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾ [الكهف]

لما كان في الإخبار بطول مدة لبثهم فائدة عظيمة ذكرها تعالى وهذه التسع المزيدة بالقمرية وهى لتكميل ثلمائة شمسية فإن كل مائة قمرية تنقص عن الشمسية ثلاث سنين ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا ﴾ أي إذا سئلت عن مثل هذا وليس عندك فى ذلك نقل فرد الأمر في ذلك إلى الله عز وجل ﴿ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى هو العالم بالغيب فلا يطلع عليه إلا من شاد من خلقه ﴿ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ﴾ يعنى أنه يضع الأشياء في محالها التام بخلقه وبما يستحقونه، ثم قال ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [الكهف] أى ربك المنفرد بالملك والمتصرف وحده لا شريك له.

قصة الرجلين

المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة الكهف بعد قصة أهل الكهف

﴿ واضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾[الكهف]

قال بعض الناس : هذا مثل مضروب ولا يلزم أن يكون واقعاً، والجمهور أنه أر قد وقع وقوله ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً ﴾ يعنى لكفار قريش فى عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم، كما قال

تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) ﴾[يس].

كما قدمنا الكلام على قصتهم والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين وكان أحدهما مؤمنا والآخر كافراً، ويقال : إنه كان لكل منهما مال فأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه، وأما الكافر فإنه اتخذ له بساتين وهما الجنتان المذكورتان فى الآية على الصفة والنعت المذكور، فيهما أعناب ونخيل تحف لتلك الأعناب والزوع فى ذلك والأنهار سارحة ههنا وههنا للسقى والتنزه، وقد استوثقت فيهما الثمار، واضطربت فيهما الأنهار، وابتهجت الزروع والثمار.

وافتخر مالكها علي صاحبه المؤمن الفقير قائلا له : ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً (٣٤) ﴾ أى أوسع جناناً، ومراده أنه خير منه ومعناه ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه فى الوجه الذي صرفته فيه؟ كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلى !! فافتخر على صاحبه ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ أى وهو علي غير طريقة مرضية قال : ﴿ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً ﴾ وذلك لما رأي من اتساع أرضها وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها، ولو قد بادت كل واحدة من هذه الأشجار لاستخلف مكانها أحسن منها وزروعها دارة لكثرة مياهها.

ثم قال : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾ فوثق بزهرة الحياة الدنيا الفانية وكذب بوجود الآخرة الباقية الدائمة، ثم قال : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً (٣٦) ﴾ أى ولئن كان ثم آخرة ومعاد فلأجدن هناك خيراً من هذا، وذلك لأنه اغتر بدنياه واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبه له

وحظوته عنده كما قال العاص بن وائل فيها قص الله من خبره وخبر خباب بن الأرت في قوله :

﴿ أَفَرَءَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾[مريم]

وقال تعالى إخباراً عن الإنسان إذا أنعم الله عليه : ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾[فصلت]

وقال قارون : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴿٧٨﴾ ﴾[القصص]

يعلم الله بى أنى أستحقه قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾[القصص].

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [سبأ]

ولما اغتر هذا الجاهل بما خول به في الدنيا فجحد الآخرة وادعى أنها إن وجدت ليجدن عند ربه خيراً مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك قال له ﴿ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي يجادله ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ ﴾ أى أجحدت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب، ثم من نطفة، ثم صورك أطواراً حتى صرت رجلا سوياً سميعاً بصيراً تعلم

وتبطش وتفهم ؟ فكيف أنكرت المعاد والله قادر على البداءة؟

﴿ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي ﴾ أي لكن أنا أقول بخلاف ما قلت وأعتقد خلاف معتقدك ﴿ وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) ﴾ أى لا أعبد سواه وأعتقد أنه يبعث الأجساد بعد فنائها، ويعيد الأموات ويجمع العظام الرفات، وأعلم أن الله لا شريك له فى خلقه ولا فى ملكه، ولا إله غيره.

ثم أرشده إلى ما كان الأولى به أن يسلكه عند دخول جنته فقال ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ ولهذا يستحب لكل من أعجبه شىء من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك وقد ورد فيه حديث مرفوع فى صحته نظر، قال أبو يعلى الموصلى: حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمرو بن يوسف حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبدالملك بن زرارة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل أو مال أو ولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله » فيرى فيه آفة دون الموت وكان يتأول هذه الآية:

﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾

قال الحافظ أبو الفتح الأزدى: عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة عن أنس لا يصح.

ثم قال المؤمن للكافر : ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أى فى الدار الآخرة ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ ﴾

قال ابن عباس والضحاك وقتادة : أى عذابا من السماء، والظاهر أنه المطر المزعج الباهر الذى يقتلع زروعها وأشجارها ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾

وهو التراب الأملس الذى لا نبات فيه ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ وهو ضد المعين السارح ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ يعني فلا تقدر علي استرجاعه قال الله تعالي ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي جاءه أمر أحاط بجميع حواصله وخرب جنته ودمرها ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خربت بالكلية فلا عودة لها،

وذلك ضد ما كان عليه من أمل حيث قال ﴿وما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ وندم علي ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم فهو يقول : ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ .

قال الله تعالي : ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ﴾ أي لم يكن أحدا يتدارك ما فرط من أمره، وما كان له قدرة فى نفسه على شئ من ذلك ، كما قال تعالى : ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾ .

وقوله : ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ومنهم من يبتدئ بقوله ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وهو حسن أيضا لقوله ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا﴾ فالحكم التى لا يرد ولا يمانع ولا يغالب فى تلك الحال وفى كل حال لله الحق. ومنهم من رفع الحق جعله صفة للولاية وهما متلازمتان.

وقوله ﴿هو خير ثوابا وخير عقبا﴾ أى معاملته خير لصاحبها ثوابا وهو الجزاء وخير عقبا وهو العاقبة فى الدنيا والآخرة . وهذه القصة تضمنت :

١- أنه لا ينبغى لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا ولا يغتر بها ولا يثق بها بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه فى كل حال نصب عينيه ، وليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى يديه. وفيها أن من قدم شيئا على طاعة الله والإنفاق فى سبيله عذب به، وربما سلب منه معاملة له بنقيض قصده.

٢- وفيها أن الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق وأن مخالفته وبال ودمار على من رد النصيحة الصحيحة.

٣- وفيها أن الندامة لا تنفع إذا حان القدر ونفذ الأمر الحتمى بالله المستعان وعليه التكلان.

الفهرس